

# الأحزاب والمليشيات الشيعية تكتم أنفاس معارضة ناشئة من داخل خزانها البشري

## أولوية استهداف النشطاء الشيعة في العراق ولبنان على غيرهم من المعارضين



الاستهداف الاستثنائي للنشطاء من أبناء الطائفة الشيعية في العراق ولبنان وراء خشية الأحزاب والمليشيات التي تنتمي إلى نفس الطائفة من تنامي حركة معارضة لها من داخل المكون المجتمعي الذي تعتبره خزائنها البشري. فهذا الأمر سيشكل خطراً وجودياً عليها وهي التي راهنت دائماً على تحفيز النعرة الطائفية لتغذية صفوفها بالأناصر والمقاتلين وتمكنت بفعل ذلك من فرض نفسها طرفاً قويا وفاعلاً في المشهد داخل البلدين.

بغداد - يشكل تنامي تيار مناهاض للأحزاب والمليشيات الشيعية ذات النفوذ الكبير في كل من العراق ولبنان حالة من القلق لتلك التنظيمات السياسية والفصائل المسلحة القائمة على أساس ديني وطائفي. أما نشوء معارضة لها من داخل المجتمع الشيعي في البلدين، فيمثل كارثة بالنسبة إليها لا مجال للتهاون إزائها والتسامح مع من يمثلها. وأظهرت حركة الاحتجاج العارمة التي شهدتها العراق ولبنان خلال السنتين الأخيرتين بعد وصول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية هناك درجة من السوء لم يعد بإمكان المجتمعين تحمّلها، تقلص شعبية الفصائل الشيعية بشقيها السياسي والعسكري في مقابل توسع حالة من الرفض لها والنقمة عليها داخل الأوساط التي كانت تعتبرها خزائنها البشري ومصدر إمداد لها بالمقاتلين.

بمجلة فورين بوليسي تحت عنوان "الصراع العنيف المتصاعد بين الشيعة ووكلاء إيران" شهادة الناشئة والروائية رشا الأمير أخت الناشط القاتل فيها "الحقيقة أنا أعرف من قتلته في داخلي"، وذلك في إشارة واضحة إلى حزب الله. إذ كان سليم يتلقى تهديدات منذ فترة وقد أكد في رسالة كتبها العام الماضي على تحمل الحزب المدعوم من إيران مسؤولية أي محاولة لاغتياله.

لكن وبعيداً عن كون الحادثة مأساة شخصية، تقول الكاتبة، يبقى مقتل سليم جزءاً من اتجاه جيوسياسي مهم، وأشار محلولون ونشطاء إلى تشابه بين مقتله وارتفاع عدد عمليات قتل النشطاء في العراق على يد المليشيات المدعومة من إيران. ويُعتقد على نطاق واسع أن سليم استهدف لأنه شيعي وينظر إليه حزب الله على أنه "خائن" يسعى إلى إضعاف نفوذ الحزب في المجتمع الديني الذي تعتمد عليه الجماعة كقاعدة سياسية وخزاناً بشرياً يمدّها بالمقاتلين الذين يشكلون لها ما يشبه "جيش مشاة" تستخدمه محلياً وفي النزاعات الإقليمية.

ويقول الناشط والمدافع عن حرية التعبير أمين مهنا، وهو المدير التنفيذي لمؤسسة سمير قصير التي سُمّيت بهذا الاسم تكريماً للصحافي والكاتب الذي اغتيل في 2005 بعبوة وضعت تحت سيارته في بيروت، وهي مؤسسة غير ربحية تهدف إلى نشر الثقافة الديمقراطية في لبنان والعالم العربي، إن الاغتيالات توقفت لفترة في لبنان بعد أن أحكم حزب الله قبضته على البلد ولم يستطع أحد الوقوف ضده حيث لم تكن هناك حاجة لاغتيال أحد.

ويضيف أما الآن فهناك شكل جديد من المعارضة لحزب الله وللطبقة السياسية سقطت في موجة التصفيات الجسدية لنشطاء بارزون ينتمون لشيعة العراق ولبنان في مقدمتهم المحلل السياسي العراقي هشام الهاشمي والناشط في الحراك الاحتجاجي بالعراق فاهم الطائي. أما في لبنان فتوجّه الاستهداف للناشط الأعلى صوتاً والأكثر مجاهرة بانتقاد حزب الله والمطالبة بنزع سلاحه غير

### الانتماء إلى الطائفة لا يوفر الحصانة

ترتبط المصادر بدء عمليات قتل النشطاء والمحتجين بزيارة قام بها قاسم سليمان الذي قتل لاحقاً في غارة بطائرة أميركية دون طيار، إلى العراق مباشرة بعد انطلاق انتفاضة أكتوبر 2019 لتقديم المشورة للحكومة ووحدات الحشد الشعبي.

ويومها قال سليمان في اجتماع سري مع قادة المليشيات وقيادات أمنية عراقية داخل المنطقة الخضراء ببغداد "نحن في إيران نعرف كيفية التعامل مع المتظاهرين. لقد حدث هذا في إيران وسيطرننا عليه".

وقالت وكالة "أسوشيتد برس" إنه في اليوم الذي تلا زيارة سليمان توسّعت حملة القمع ضد المتظاهرين في العراق حيث استهدف القناصة المجهولون المتظاهرين. وكانت الحملة على المحتجين العراقيين شديدة لدرجة أنه في أقل من أسبوع قتل 150 محتجاً.

وفي لبنان أتتهم أنصار حزب الله الذي داهمت الاحتجاجات معارضة مثل أغلب أنحاء البلاد في نفس الفترة، باقتحام مواقع الاحتجاج على الدراجات النارية وتهديد المتظاهرين وتفكيك خيامهم ووصفهم بالخونة الذين تحرّضهم السفارات الغربية.

### تأكل رصيد الولاء

وكان الشبان العاطلون عن العمل في كلا البلدين العراق ولبنان يطالبون بفرص عمل ودعوا إلى إنهاء الفساد وعبروا عن تطلّعاتهم إلى دولة تقام على أسس وطنية رافضين السياسة الطائفية وتحذوا الأحرار السياسية من جميع المشارب. لكن كلا البلدين يخضعان لسيطرة المليشيات المدعومة من إيران إلى حد كبير. وتستعرض المليشيات قوتها في الشارع بينما هي جزء من الحكومتين. وللمليشيات الشيعية في العراق تمثيل تحت قبّة البرلمان من خلال تحالف الفتح بينما يشارك كبار قادتها مثل هادي العامري وقيس الخزعلي ومقتدى الصدر في صنع القرار السياسي للبلاد. أما حزب الله في لبنان ففضلاً عن احتفاظه بقوة عسكرية تفوق القوات النظامية تسليحاً وتنظيماً، فإنه يتحكم إلى حد كبير في عملية تشكيل الحكومات وتعيين رئيس للجمهورية، كما يشارك في صياغة سياسات البلد وصنع قراراته.

لكن وعلى الرغم من هذه السطوة الكبيرة لتلك الفصائل إلا أنها فشلت في تحسين حياة الفئات التي تزعم أنها تمثلها، بل على العكس من ذلك زادت أوضاعها صعوبة وتعقيداً، ولذلك خسرت إلى حد كبير ولاء الشيعة.

وبحسب ديفيد اندرس، الذي كتب لفورين بوليسي مقالاً بعنوان "اللبنانيون يشهدون لغز جريمة قتل أخرى"، فقد كان لقمان شيعياً وأراد إعادة الشيعة إلى الأحضان العربية كجزء من هويتهم الوطنية. وقال المحاضر في كلية التاريخ بالجامعة الأميركية في بيروت، مكرم رباح وهو صديق مقرب للنشطاء القاتل، إن سليم شجّع الهوية الوطنية على حساب إيران ومشروع حزب الله الطائفي في المنطقة.

وقالت الباحثة اللبنانية في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى حنين غدار، وهي منتقدة قوية لحزب الله، إن هناك صلة واضحة بين مقتل سليم في لبنان ومقتل نظرائه في العراق. وتابعت قولها "بالنسبة إلى العديد من المنتقدين المناهضين لحزب الله في لبنان يعني هذا أنه إذا لم تتم محاسبة الحزب فسبواصل الأخرى على غرار سلسلة الاغتيالات التي شهدتها العراق وطالت العديد من النشطاء الشيعة أبرزهم هشام الهاشمي الذي تهمّت المليشيات الموالية لإيران في العراق بقتله".

وقد قُتل الهاشمي وهو محلل سياسي بدأ قبل مقتله ينتقد نشاط المليشيات، بالرصاص في نفس اليوم الذي ورد أنه اتصل فيه بصديق مقیم في لندن وبشارته مخاوفه من احتمال قتله على يد الفصائل التابعة لإيران. وبحسب منظمة العفو الدولية، منذ بداية الاحتجاجات في العراق في أكتوبر 2019 قتل العشرات من النشطاء على أيدي المليشيات التي كانت جزءاً من وحدات الحشد الشعبي التي يحظى العديد منها بدعم إيران، لكن تمّ استيعابها شكلياً داخل القوات العراقية وأصبحت بشكل صوري جزءاً منها.

وقالت نائبة مديرة المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في منظمة العفو الدولية لين معلوف، إن "مسلمين مجهولين يُعتقد أنهم أعضاء في المليشيات وفي الحشد الشعبي استهدفوا النشطاء بالاغتيال أو الاختطاف وقتلوا ما لا يقل عن 30 في بغداد والناصرة والبصرة".

وجرت محاولات لاغتيال أكثر من 30 آخرين نجوا بعد أن لحقت بهم إصابات، ووفقاً لبعثة الأمم المتحدة في العراق بحلول مايو 2020 بقي مصير 20 ناشطاً ومظاهراً مجهولاً.

وخلال احتجاجات العراق كانت هناك هجمات متكررة على المتظاهرين وقتل فيها أكثر من 500 شخص، علماً وأن انتفاضة أكتوبر 2019 انطلقت في مدن ومحافظات وسط وجنوب العراق حيث

بأكملها من قبل كتلة من المعارضين بلا قيادة والذين يسعون إلى دولة علمانية تحركها حقوق الإنسان. وكان للقمان تأثير ثقافي كافٍ لتشكيل الخطاب الذي دعا إلى عقد اجتماعي غير طائفي جديد بين المواطن والدولة. كما يعتبر مهناً أن الأهم من ذلك أن لقمان كان شيعياً وكان واحداً منهم وأعطوا صوتاً للشيعة الساخطين على جماعة حزب الله.

خزان يغلي

لا يفتقر حزب الله في لبنان لقدرة من الشيعة داخل بعض الأوساط اللبنانية، لكن جميع شيعة البلد يفكرون بنفس الطريقة. وقد نمت خيبة الأمل بينهم منذ انهيار الاقتصاد اللبناني. فقد كان العديد من الذين دعموا الحزب في مواجهته ضد إسرائيل في حيرة من أمرهم لرؤية حزب الله يدعم الطبقة السياسية الفاسدة بهدف الحفاظ على سيطرته على السياسة اللبنانية.

وتقول المحللة السياسية رندا سليم، إن مقتل لقمان يعد رسالة واضحة من حزب الله للشيعة مفادها أنه لن يتسامح مع معارضيه. وتضيف "لن يكتفي الحزب بعد الآن باغتيال الشخصيات البارزة لإسكات هذه المعارضة". وتكررت أن محاسبة حزب الله على الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي حلت بلبنان وطالت الشيعة مثل غيرهم كانت جزءاً من حجج لقمان ضد الحركة. وكانت دعوته تتكسب زخماً داخل المجتمع الشيعي.



إصرار يتحدى عنف المليشيات